البلاد التى يزرع فيها القطن حاضرا ومستقبلا

(٢)

كلمة تمهيدية

تختلف الممالك التى تزرع القطن اختلافا كليا في جميع أحوالها وبسبب هذا الاختلاف يعسر حصر البيانات الخاصة بكل حالة وفحصها في الابواب المنفصلة الخاصة بكل مملكة لذلك فقد أجملنا شرح كل منها ولخصناها وعلى قدر الامكان .

أولا — المساحة :

١ — ان مساحة القطن فى العالم لا تتعدى الا نادرا جدا شمال الدرجة الاربعين من خطوط العرض لنصف الكرة الشمالى ، وجنوب الدرجة الثلاثين من خطوط العرض لنصفها الجنوبى والشوذا القليلة لهذا الحدود تقع في شمال الصين وفي تركستان وكوريا وأفريقيا الجنوبية والجمهورية الفضية لذلك فان معظم محصول القطن ينتج من المنطقة المجاورة للمنطقة الاستوائية التى تكاد تشمل كل النطاق القطنى من الولايات المتحدة وأكثر بقاع الصين والمكسيك والمناطق القطنية بالهند وكذلك تقع بقاع القطن فى مصر وبلاد ايران في نفس المنطقة وأيضا المساحات القطنية من تركيا آسيا وسوريا والعراق وكذا مزارع هذا المحصول القليلة باسبانيا وايطاليا واليونان وولايات البلقان وشمال أفريقيا .

ومن المناطق الاستوائية البحتة التى تزرع القطن البرازيل وبوليفيا وبيرو واكوادور وكولمبيا وتيكارجوا وسلفادور وفينزويلا وبرجواى وجزر الهند الغربية وغرب أفريقيا والكونغو والسودان ويوغاندا وتنجانيقا وتيسالاند ومصوع وبلاد الصومال وأفريقيا البرتغالية وشبه جزيرة الهند وكوينزلاند وجزائر البسفيك الجنوبية . وقد أجريت منذ أعوام تجارب كللت بالنجاح في بلاد المجر عند الدرجة ٤٥ من خطوط

العرض وهذه الدرجة تقع عليها تقريبا بلدة كولدجة[1] من أعمال تركستان ويقال أن زراعة القطن موجودة فيها منذ قرون .

وكان من نصيب جزيرة القدس كراوة[2] احدى جزر الهند الغربية عند ما كانت تحت حكم الدنيمارك زراعة قليل من قطن جزيرة البحر[3] وما كان يصبح هذا المحصول فى خبر كان تحت حكم الولايات المتحدة لو بقى لها سوق تشجع زراعته .

ولقد تسبب عن ظهور دودة اللوز في جزر الهند الغربية أن قلت زراعة القطن ليس في جزيرة القديس كرواه السالفة الذكر وحدها التى تحكمها الولايات المتحدة وانما أيضا في جزيرتى القديس مارتين[4] والقديس أوستانيا[5] وهما تابعتان للدنيمارك ومما يهى من عزيمة زراع القطن في جزيرة قايقوس[6] وجزيرتى ترنيداد[7] وطباجو[8] ان المطر في الاولى غير ثابت وفى الثانيتين أكثر من اللازم أما في مستعمرة شاطىء الذهب[9] الواقعة في غرب أفريقيا فقد استغنى الزراع عن القطن بما يستغلوا به مزارع الكاكاو لذلك لم نجد هناك ما يدعو لذكر شيء عن هذه البقاع في هذا السفر .

ورغما عن أن الولايات الآتى ذكرها لا تنتج من محصول القطن الا كميات محدودة جدا فقد أدرجنا هنا عنها شيئا وهى : بلاد الصرب واسبانيا والمجر ورومانيا وبوليفيا وجاميكا والعراق والحبشة وليبريا والكامرون وسيرليون ومدغشقر والمنطقة الفرنسية من مراكش وجزائر فيجى وقد أعلنت حكومة المجر فى ١٧ مارس سنة ١٩٢٦ أنها تخلت عن محاولة انماء القطن في بلادها .

٢ — ولم نستطع الحصول على مقدار المساحة من القطن المزروعة فى الولايات السابقة الذكر وهذا طبيعى في مثل جهات افريقيا حيث يكون المحصول كله أهلى ونباته معمر .

---

(1) Kuldja.
(2) St. Croix.
(3) Sea Island.
(4) St. Martin Is.
(5) St. Eustatia Is.
(6) Caicos Islads.
(7) Trinidad.
(8) Tobago.
(9) Gold Coast.

ولقد قارنا بين مجموع مساحات القطن في بقية الممالك التي أمدتنا بأرقامها فاذا متوسطها بين سنتي ١٩٢١ و١٩٢٤ : ٦٨٩٢٣٠٠٠ آكر[1] وقد كان ذلك المتوسط بين ١٩٠٩ و١٩١٣ ٦٥٩٢٦٠٠٠ وتجد أن المساحة قد زادت عن أعوام قبل الحرب نحو ٤ في المائة اذا قورن المتوسطان والواقع أنها زادت فى عام ٢٤ وحده ٢٣ في المائة عن متوسطها قبل الحرب في تلك المدة.

ولقد اتسعت مساحات القطن كثيرا فى كوريا وأوغندا وأوستراليا والبرازيل والسودان الانكليزى المصرى وأفريقيا الجنوبية .

ومساحة القطن في الولايات المتحدة هى العامل الاكبر في زيادة محصول العالم من القطن أو نقصانه ويليها مساحة الهند ثم يلى ذلك الصين بعشر مقاطعات منها فقط فهى الثالثة في الاهمية القطنية .

٣ — واذا لم يكن للمسألة الا وجهتها الزراعية البحتة لجاز لكثير من الممالك التى تزرع القطن أن تزيد مساحته لكن ذلك قليل الاحتمال ما لم تتحسن الاحوال الاقتصادية ونعنى بذلك أن العلاقة بين نفقات الانتاج وثمن السوق يجب أن تكون في حالة تسمح للزراع بزيادة مساحته القطنية وعلى ذلك فنموها متوقف على ارتفاع الاسعار من جهة أو تغيير وسائل الزراعة لتقليل النفقات من جهة أخرى وقد قيل أن التوسع في زراعة القطن بولايات أفريقيا وأوستراليا وأمريكا الجنوبية في السنين الثلاثة أو الاربعة الاخيرة كان مرجعه الوحيد ارتفاع الاسعار وتسبب عن تقليل المساحات القطنية بالولايات المتحدة أن علت الاسعار في جميع ممالك العالم والآن وقد عادت بها تلك المساحة الى سيرتها الاولى ومضى العام الاول منذ تغير الحال نحو التحسن فلا شك أن المباحثات ستدور بشدة في جميع أسواق العالم القطنية للاتفاق على مستوى الاسعار والواقع أن الباعث على زيادة مساحات القطن زيادة مستمرة كما حدث في سنتي ١٩٢٣ و١٩٢٤ قد انعدم وقد أدى الحال أن انحطت الاثمان من ديسمبر لمدة أربعة شهور بمقدار ثلاث بنسات فى الرطل مما ترتب عليه

(١) الـ Acre يساوى ٠٫٩٦٣٣ من الفدان المصرى

نقصان ١٥ في المائة تقريبا من قيمة الواردات الاوروبية وانبنى على ذلك أيضا انحطاط أثمان القطن في مزارعه انحطاطا عظيما مع بقاء مصاريف النقل كما هى بدون تغيير لانها لا تتبع السوق في ارتفاعه وانخفاضه .

وأهم المسائل الجديرة بالنظر في تكاليف زراعة القطن هى بطبيعة الحال أجور العمال ولا شك فى أن القطن لا ينمو بنجاح حيث لا تكون أيدى عاملة كثيرة وعليه فالتدرج في زيادة مساحته هى مسألة خطيرة تحتاج لانعام النظر ومما لا ريب فيه أن تحريم الرقيق في سورينام وغيانه البريطانية حرم مساحات واسعة كانت تفيض بزراعة القطن. فيهما منذ قرن من زراعته بها بتاتا كذلك فان ندرة السكان في بعض بقاع أمريكا الوسطى يجعل حدا للتدرج بزيادة زراعته فيها على أنه هناك مساحات كثيرة لا تتوقع فيها مثل هذه الصعوبات .

وهناك عامل ذو أهمية كبيرة متحكم في اتساع مساحات القطن الا وهو تحسين وسائل النقل وطرق المواصلات .

ولا شك في أن كل زيادة جديرة في مساحة القطن تخضع الى مشكلة النقل وكانت العادة منذ سنين قليلة في نقل محصول القطن من الحقول الى السوق بغرب أفريقيا أن يحمله الزراع فوق رؤوسهم الا يزال الحال كذلك في بعض بقاع داخلية البلاد غير أن انشاء السكك الحديدية قرب المسافات وغير من طرق النقل القديمة البطيئة لا سيما بين مراكز القطن في الداخل والشواطىء البحرية ومن العبث حث أهالى دهومى أو السودان الفرنساوى على زيادة مساحات القطن بواسطة حكومتيهما قبل أن تنشأ خطوط للسكك الحديدية على مسافات غير بعيدة وقد اعتاد كثير من قرى هذين القطرين أن تزرع القطن منذ زمن مديد بقصد سد حاجة الاهالى المنزلية المحلية ولم ينقل من محصوله الى السوق بقصد التجارة فيه الا ما ندر . وقد قابل المستعمرون الخط الحديدى الممتد من أعالى نهر النيجر وأعلى نهر السنيغال بالترحاب الكثير لانهم يرون فيه

أكبر معونة لادخال أنواع أجنبية من القطن فى جهات السودان الفرنسى بالمناطق التى انشىء فيها مشروعات الرى ولا تغير تلك الخطوط الحديدية من طرق نقل تيلة القطن فقط بل تساعد على نقل آلات الرى والآلات الزراعية الى الحقول نفسها .

ولا يبعد أن تعاون تلك الخطوط فى المتاجرة ببزرة القطن التى لم تستعمل الى الآن هناك الا كسماد ثم في اقامة مطاحن بخارية للبزرة يفصل بواسطتها زيت بزرة القطن ثم يرسل بعد ذلك الى فرنسا كما يرسل شعره الآن .

وان لنا فى الشؤون الاقتصادية لاكبر دعامة في سبيل توسيع المشروعات السابقة الذكر وغيرها لرفع شأن زراعة القطن في أفريقيا وتنميتها على أساس متين ولا شك أن هذه الشؤون نفسها سيكون لها أهمية كبيرة عند ما تدنو أسعار القطن الى مستواها المعتدل القديم وطالما أن الاسعار في أوروبا كانت تزيد عن شلن فى الرطل فان تكاليف النقل لم تكن ذات أهمية تذكر ذلك لان البنس الواحد فى الرطل يعادل ٩٫٦٦ جنيها انكليزيا في الطن وهو مبلغ يفوق كثيرا ما يتكلفه القطن من نفقة النقل على السكك الحديدية فاذا انحدرت الاثمان حتى بلغت سبعة بنسات ثمنا للرطل الواحد وهو ما كان عليه الثمن في سنة ١٩٢١ فان الحال يخالف ما سبق تماما لان هذا الثمن لا يسدد التكاليف حتى فى حالة الحقول التى لا تقع خطوط السكك الحديد على مقربة منها .

وهناك عامل آخر له أهمية وهو الزمن الذى يشغله النقل فان التأخير أو عدم التأكد من ميعاد التسليم يكاد يعادل الانتفاع من الاعتبارات الاخرى اذ لا يكون للشارى مندوحة عن التعرض لخطرات السوق وهذه الخطرات لابد للزارع من أن يؤدى في النهاية ثمنا عنها . وليست المشكلة هى التأخير فى التسليم فقط بل وعدم التأكد أيضا من ميعاد التسليم وليس حل ذلك في صالح الشارى دائما ومعنى ذلك انشاء مزارع قطنية جديدة قريبة من خطوط السكك الحديدية .

ولا يفوتنا فى النهاية أن نذكر أن في امكان وجود نظام ثابت للرى عامل عظيم في الاكثار من عدد الممالك التى تزرع القطن والعكس بالعكس .

٤ — ولقد أعرب السير أودين ستوكتون (١) وهو الاخصائى المعروف جيدا فى الدوائر القطنية بلانكشير في مقالة بقلمه ظهرت فى مايو سنة ١٩٢٥ عن رأيه بخصوص الممالك التى تسمح فيها الظروف لزراعة القطن في مساحات متسعة لخصناها باختصار في أن انتشار زراعة القطن فى مساحات جديدة يدل على أن الحاجة ماسة لاعادة النظر في العوامل المختلفة الضرورية لنجاح التجارة المستمر .

وهو يقول أن من الواضح أن الممالك التى ينمو فيها القطن ما هى الا فى خطواتها الاولى من وجهة الانتاج على نسبة دولية وهناك ستة مراكز لانتاج القطن تتجه الانظار اليها أكثر من غيرها وذلك للمستقبل الباهر الذى ينتظرها ولتفوق نموذجات أقطانها وفى مقدمتها يوضع السودان الانكليزى المصرى وقد ضمنت فيه الحكومة البريطانية التسهيلات المالية لانماء القطن والهمة مبذولة به في انشاء مشاريع للرى هائلة وعلى الرغم من صعوبة تنظيم الصناعة بالسودان فسيرى أبناء الجيل القادم ذلك القطر في المكان الاول من الممالك التى تعتنى بتصدير القطن . وقد أثبتت التجربة أن العراق له ميزة في زراعة هذا النبات وتنظيم الصناعة هناك يسير سيرا حثيثا والرى المنتظم لا بد منه هنا أيضا ويظهر أن نفقات انشاء المشاريع هنا وكذلك النقل أقل منها فى السودان .

ويضع السير أدوين منطقة أفريقيا الشرقية والوسطى في الاهمية فيما يلى السودان والعراق حيث تختلف شروط الانتاج فيهما عنها فى تلك وقد ظهر أن نظام الرى لا حاجة به ويحتاج الامر فقط الى تشجيع المشاريع الاهلية وفي امكان مناطق افريقيا الاستوائية جميعها انماء القطن بعد جعلها صالحة لذلك وانما الصعوبة ترجع الى فقدان وسائل النقل وقلة الايدى العاملة ويندر وجود الاهالى بتلك البقاع حتى ليتنافس

(1) Sir Edwin Stockton.

الناس على القليل الموجود منهم وهم يحتاجون مع ذلك الى التدرب على المواظبة في أعمالهم والتقدم فى زراعة القطن بتلك البقاع لا ينتظر أن يكون فى سرعته بالسودان والعراق رغما عن مستقبلها الباهر .

وهناك مملكتين أخريتين ذات مستقبل عظيم هما كوينزلند والهند وقد عولج فى الاولى منهما نشر زراعة القطن في الماضى على غير طائل ولكن كان النجاح قرين من قام بذلك أخيرا ولم تكن الاحوال الجوية هى المسببة للاخفاق الاول ويستطاع الآن زراعة مئات الآف من الافدنة بها وأخذ قطنا جيدا منها وسيتم تنظيم الصناعة فيها عن قريب ويجدر بنا أن نبين أن في هذه البقعة وحدها من الامبراطورية البريطانية ارتأى ذوى الامر أن يركن بانماء القطن الى الرجل الابيض وحده .

وتقوم حكومة الهند بمجهودات عظيمة لترقية زراعة القطن مع وجود محاصيل أخرى تنافس هذه الزراعة كما لا يخفى على القارىء وفى تقديرنا أن الصادر من القطن الجيد بالهند سيزيد في النهاية زيادة عظيمة كذلك ينتظر للبرازيل مثل تلك النهاية .

ومن الولايات التى نتوقع لها اتساعا فى زراعة القطن على ما هى فيه من تقدم في زراعته تكساس وأوكلهوما من أعمال الولايات المتحدة بأمريكا .

٥ — ولقد كتب المسيو اميليى مدير عام وزارة المستعمرات ببروكسل عن الطرق التى يوصى بها لانشاء مزارع جديدة للقطن تشجيعا لمن يرغب فى المغامرة باستعمار الكنغو البلجيكية ولما كان تفصيل ذلك مما ينطبق فيما عدا تلك البلاد رأينا ادراجها هنا الفائدة :(١)

يقول المسيو ليبلى أن القطن في الكنغو كما هو في بقية الممالك الاستوائية محصول مناسب للعمال من الاهالى فقط على أنه تدرج من ذلك الى قوله ان فى استطاعة الزارع الاوروبى أن يستغل هذا النبات بربح بشرط اتباع الشروط الآتية [٢] يجب عليه أولا انتقاء الارض ولتكن مساحتها خمسمائة

(١) Mr. E. Leplæ.

(٢) ذكرنا طريقة زراعة القطن فى المناطق الاستوائية البكر لا بقصد اتباعها بمصر بل فقط لمجرد تفكهة القارئ .

هكتار أى نحو ١٢٥٠ فدان في أحد بقاع الكونغو ولا يغيب عن باله أن يختار المناطق التى ظهر من التجربة أن القطن يجود فيها ثم يقوم فى أول عام بازالة الحشائش من نصف مساحتها ويحتاج هذا العمل لاستخدام نحو ٣٠٠ نفر من الاهالى لمدة ستة شهور وعليه البدء بالعمل في ذلك بحيث ينتهى منه فى أول موسم الزراعة وعليه باستحضار بذرة القطن المنتخبة ولا يصعب عليه ذلك في الكنغو البلجيكية ثم تزرع الارض بحيث يوضع خمس أو ست حبات في الجورة الواحدة وعند ظهور النباتات يخف ما كان فيها ضعيفا ثم تعزق الارض بمجرد ذلك ويتلو هذه العزقة عزقتين آخريين أثناء نمو النباتات قبل دور الازهار الذى يبدأ بعد الزراعة بنحو ثلاثة أو أربعة شهور ثم يتلو هذا الدور تكوين اللوز فتفتيحه فعملية الجمع ويجب الانتظام في هذه العملية بحيث يجنى محصول كل سطر من سطور نباتات القطن كل عشرة أيام الى أن يتم جمع اللوز جميعه والعملية المذكورة لابد منها لانفتاح اللوز بالتعاقب .

لقد ذكرنا أن ازالة الحشائش تحتاج الى ٣٠٠ نفر من الاهالى ويجدر بنا أن نقول أن الاهالى فى العادة خبيرين بهذا العمل الموكول اليهم ولا يحتاج الامر الا لمراقبتهم ليقوموا بهذه العملية بدون توقف ثم يجىء بعد ذلك عمليات الزراعة والحف والعزيق والجنى وليس لهم في كل هذه خبرة كافية وعليه فلا بد من اعطاء التعليمات اليهم مع شدة المراقبة فى تنفيذها ولقد أشار أحد كتاب البلجيك بأن العامل الوطنى في تلك الجهات مثله مثل بقر الوحش الذى يكثر وجوده في تلك الجهات لا يأنس الا بالشدة فلاحراز النجاح على المستعمر شدة مراقبته مع الاستمرار فى ذلك أثناء القيام بالعمليات المذكورة سالفا .

وهناك بين كل عمليتين فترة سكون على أن هذا لا يمنع من مداومة الانتباه وليكون على حذر من أعداء القطن الحشرية والضوارى والجراد وكل هذه عند ظهورها تحتاج لوسائل عنيفة لطردها أو لابادتها يقوم الوطني باجرائها ولكن بدون أن يبدى فيها رأيا كذلك يجب اليقظة في عملية الحليج والكبس .

ومن رأى المسيو ليبلى أن يكون المحلج في وسط المزرعة تماما حتى نقل نفقات نقل المحصول اليه وقد لا يكون في الامكان عمل ذلك الا أنه لا مندوحة للمستعمر أن يجعل مثل تلك الفكرة ضمن خططه في تنظيم مزرعته ليكون وضعها على طرق علمية • ومن رأى المسيو ليبلى أن يشمل المحلج المقام فى مثل هذه المزرعة على آلتين في كل منهما خمسين دولابا منشورية ومقطوعية هذه يوميا نحو ١٠ — ١٢ بالة من الشعر وعلى هذا الحساب يستطيع في مدة شهرين من الزمن أن يقوم بحلج المحصول بأكمله ومتوسط محصول الهكتار عادة نحو ٢٠٠ كيلو جرام من الشعر ولما كان الرأى عند المسيو ليبلى كما سبق ذكره ازالة الحشائش من ٢٥٠ هكتارا فقط في العام الاول فعليه باجراء العملية نفسها فى العام الثانى في نصف المزرعة الباقى وعليه أن يستمر في زراعة ٢٥٠ هكتارا من القطن كل عام مخصصا عاما قطنى لكل نصف من المزرعة على حسب الدورة الزراعية أما النصف الثانى ففى استطاعته أن يزرعه محاصيل مختلفة عند ما يكون خال من زراعة القطن مما يمكن أن يستخدم سمادا أخضرا لفائدة محصول القطن المقبل كذلك فان بزرة القطن في الامكان جعلها سمادا ويمكن زراعة الذرة كمحصول وقتى •

وتنتهى هذه المقالة بتحذير وتذكرة للمستعمر بأن لا يستسهل انماء هذا المحصول بلا معلومات عنه خاصة ولا يظن كما يدور على الالسنة أن فى استطاعة أى انسان النجاح بشخصه فى زراعته أو ايكال ذلك لاى تاجر أو فلاح • كل هذه التخيلات سوف تنكشف عن حقيقة مؤلمة اذا غامر المستعمر بدون تدبر لان الاهمال البسيط فى تعهد زراعة هذا المحصول السنوى لا يجعله ينتج ما يقوم بمصاريف زرعه ونتيجة ذلك ضياع رأس المال مع الزمن ومن شروط النجاح في زراعة القطن ببلاد الكونغو وغيرها أن يكون الزارع نشطا مقتدرا ذو دراية بزراعة القطن في جهات خط الاستواء •